بسم الله الرحمن الرحيم

تثبيت المسؤول بتعلم ثلاثة الأصول

لشيخ الاسلام مجدد الدعوة وحامل لواء التوحيد. الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي.

(1115-1206 هـ).

دروس ألقيت في تبسة رعاها الله بعنايته

للشيخ أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر الشابي التبسي

حفظه الله تعالى

جمع وترتيب إخوة من جمعية مناهل الخير بلدية ونزة ولاية تبسة رعاهم الله وثبتهم

وزادهم حرصا على طلب العلم

عام ١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

1. افتتاحية:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير خلقه ﷺ. وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، هذه المادة العلمية المسطورة في هذه الأوراق هي شرح لرسالة: (ثلاثة الاصول وادلتها) للشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله، استعنت الله تعالى في شرحها مع أبنائي الكرام وإخواني الأفاضل الذين أُحبهم في الله عز وجل، وأود لهم كل خير وارجو لهم السلامة من كل شر[1]، وذلك في مجالس عديدة ربت على ثلاثين مجلسا على مدى أكثر من سنة. وقد جعلت لهذه السلسلة من الدروس عنوانا وسمتها به، وفيه دلالة على مضمونها وهو: **تثبيت المسؤول بتعلم ثلاثة الأصول**.

ولا يخفى على القارئ الكريم، فحوى هذه الترجمة التي اشتملت على أسباب ثبات العبد المكلف حين يسأل في قبره الأسئلة الثلاثة المعلومة من قبل الملكين الكريمين منكر ونكير عليهما السلام، كما ثبت بذلك الأثر وصح به الخبر من حديث الصحابي الجليل البراء بن عازب رضي الله عنه الذي أخرجه الامام أبو داوود رحمه الله وغيره وهو حديث صحيح، جاء فيه كيفية مسائلة المقبور، وتوجيه الأسئلة التي تطرح عليه من قبل الملكين الكريمين، وكيف حاله وما له، بحسب إجابته عنها، ثم يحيا حياته البرزخية بعد ذلك إلى أن تقوم عليه الساعة.

وقد قصدت من عنوان هذا الشرح: أن العبد المكلف ذكرًا كان أو أنثى لا يتأتى له أن يجيب على هذه الاسئلة للملكين في قبره إلا أن يكون له علم بأجوبتها دراسة ودراية بمعانيها وفقهًا لأحكامها وعملًا بمقتضاها وملازمةً لذلك، وثباتا عليه حتى الموت، – اَللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ اَلثَّابِتِ فِي اَلْحَيَاةِ اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكُلِّ اَلْمُسْلِمِينَ –.

فما هو السبيل إلى ذلك كله؟ – وهو الغاية من شرح هذه الرسالة اللطيفة الطيبة –

الجواب: السبيل هو التوجه الى طلب العلم والاقبال عليه بتعلم هذه الأصول الثلاثة مقرونة بأدلتها، والحرص على استيعاب ما تضمنته من معارف وفوائد وحكم والمواظبة على حضور مجالس العلم والانتفاع بها، وبما يلقى فيها من

[1] ونحن أيضا نشهد الله تعالى على حبنا لك وجزاك الله عنا كل خير ورفع قدرك في الدارين وجعل ما تبثه من علم وفضل وخلق في ميزان حسناتك يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.

العلوم الشرعية والآداب المرعية، مع مراعاة استحضار نية التعبد بذلك لله تعالى والاخلاص له فيها. وينبغي أن يكون شعار طالب المجتهد في الانتفاع بهذه الاصول الثلاثة (عرفت فالـــــــزم).

والمُوفق من وفقه الله ﷻ لما يحبه ويرضاه. ويجنبه ما يسخطه ويأباه والله المستعان وعليه التوكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وفي آخر هذه الافتتاحية وعملا بقول النبي ﷺ: مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يشكرُ اللهَ أشكر كل من ساهم في إخراج هذا العمل المتواضع الى النور من كتابة أو جمع وتدقيق وأسال الله بمنه وكرمه وجوده أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم في ميزان حسانتهم وأخص بالذكر إخوة جمعية مناهل الخير الونزة ولاية تبسة على مجهوداتهم وجزاهم الله خيرا .

الموقع الرسمي للشيخ:
أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي
SUBSCRIBE
LIKE
SHARE

2. مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهَدْي هَدْي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شادي

أما بعد:

فإني استخرت الله ﷻ بعد الاتفاق مع أبنائي الأفاضل وإخواني الأماجد على دراسة رسالة: **الأصول الثلاثة وأدلتها** للشيخ الأواب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله، وجاء التوفيق والتسديد من الله ﷻ ذي المن والإحسان، وهو المحمود على ذلك ظاهرا وباطنا، قال وحالا، خلوة وجلوة.

فأقبلنا على دراسة هذه الرسالة المباركة وكلنا حزم وعزم واجتهاد واقبال، مستحضرين النية الصالحة في طلب هذا العلم النافع المتضمن في هذه الرسالة الطيبة، لرفع الجهل عن أنفسنا ابتداءً ودعوة غيرنا تبعًا، فكانت الدراسة على مدى أكثر من سنة في مجالس عقدت بين صلاة المغرب والعشاء، في بيت أخينا الموفق إن شاء الله ﷻ: (أبي عبد الرحمن عبد المؤمن زدايرية).

ومضى الاتفاق: على حفظ متن الرسالة وفهم ما حوته من مسائل اعتقادية وأحكام شرعية والعمل بمقتضى ذلك كله.

وقد تم الاختيار لهذه الرسالة :(**الأصول الثلاثة وأدلتها**) لسببين هامين هما:

أولا: أنها من المتون المختصرة المفيدة النافعة في بابها. لأنها اشتملت على بيان أهم الاصول التي بُني عليه دين الاسلام. لذلك ينصح العلماء الاثبات بالبدء بها في طلب العلم، وفق قاعدة: التدرج والبدء بصغاره قبل كباره. وعلى قاعدة: أن تلقي العلم يكون شيئا فشيئا. كما هو دأب سلفنا الصالح في طريق طلبهم للعلم، فانهم كانوا يأخذونه على مرّ الايام والليالي، كما جاء مبينا في تلك القاعدة المنهجية: للإمام ابن شهاب الزهري رحمه الله (ت١٢٤هـ) ، التي قعّدها لتلميذه يونس بن يزيد رحمه الله قال: يا يونس : ﴿ اَلْعَلَم أَوْدِيَةٌ إِنَّ نَزَلَتْ أَوْ قَطَعَتْ وَادِيًا أَوْ دَخَلَتْ وَادِيًا ، قَطَعَتْ أَوْ قَطَعَكَ دُون أَنْ تَصِلَهُ ، وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ اَللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، فَمِنْ رَامِ اَلْعَلَمِ جُمْلَةً ، فَاتَهُ جُمْلَةً وَإِنَّمَا يَطْلُبُ اَلْعِلْمُ عَلَى مَرّ اَلْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي.[1] ﴾

ويؤيد ذلك قول القائل : اَلْيَوْمَ عِلْمَ وَغَدًا مِثْلَهُ ❁❁❁ مِنْ نُخَبِ اَلْعَلَمِ اَلَّتِي تَلْتَقِطُ

يَحْصُلَ اَلْمَرْءُ بِهَا حُكْمُهُ ❁❁❁ وَإِنَّمَا اَلسَّلْوُ إِجْمَاعُ اَلنُّقَطِ[2].

ثانيا: إنها رغم صغر حجمها ووجازة مادتها الا أنها احتوت على أهم المسائل الاعتقادية المتعلقة باعتقاد أهل السنة والجماعة والمتمثلة في الاجوبة الصحيحة النافعة المنجية من عذاب القبر، عن تلك الاسئلة الثلاثة التي تلقى على كل مكلف في قبره وهي: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ والتي لا مفر من إلقائها على الميت في قبره وكذلك الاجابة عنها نفيا أو إيجابا، وذلك على حسب ما يعيش عليه العبد في الدنيا اعتقادا وقولا وعملا.

ومن هنا تأكدت أهمية هذه الرسالة من جهة التعلم والتعليم والعمل والدعوة، فطفق علماء السنة قديما وحديثا رحمهم الله يعنون بها تدريسا وشرحا وتعليما، وذلك للكبار والصغار والرجال والنساء. بل حتى العامة على حد سواء كل يأخذ بنصيبه منها بحسب قدرته واستيعابه.

أما الاسم المشهور لهذه الرسالة وهو: الاصول الثلاثة وأدلتها، ولكن اسمها الحقيقي هو: ثلاثة الأصول وأدلتها. لأن المصنف له رسالة اخرى مشابهة اسمها: الاصول الثلاثة. كتبها لتعليم الصبيان في الكتاتيب فلربما وقع الخلط بينهما.

وقد جاءت هذه الرسالة الوجيزة خلاصة وافية شافية متكاملة حوت مباحث عقائدية هامة لا يمكن للمسلم أن يستغني عنها لأنها تمثل مناط تحقيق سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة وفوزه بالنعيم المقيم في جنة الخلد.

---

[1] ذكره ابن عبد البر رحمه الله في كتابه جامع بيان فضل العلم (43/1)

[2] القائل هو محمد بن إبراهيم النحاس بهاء الدين رحمه الله (ت 698 هـ) كما في بغية الوعاء للإمام السيوطي رحمه الله (14/1)

3. ترجمة موجزة لصاحب الرسالة:

هو شيخ الاسلام مجدد الدعوة وصاحب لواء التوحيد. الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي. ولد الشيخ سنة (1115) للهجرة في بلدة (العُيَيْنَة) من بلاد نجد، وتوفي بـ (اَلدِّرْعِيَّة) عام (1206هـ) ودفن بها.

ونشأ بها حفظ القرآن الكريم ولم يبلغ العاشرة من عمره تلقى دروسه الاولى في الفقه والتفسير والحديث على يد والده ﴿عبد الوهاب﴾ قاضي العُيَيْنَة ومفتيها رحمه الله وظهرت عليه منذ طفولته علامات الذكاء والفطنة وشدة الحرص على الاقبال على العلم، وكانت له حافظة قوية كثير المطالعة في كتب السلف لا سيما كتب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم الجوزي رحمه الله وقد تأثر بهما كثيرا في منهج دعوته الى الله سبحانه وتعالى فيما بعد.

خرج الى الحج والتقى بعلماء مكة والمدينة رحمهم الله وأخذ عنهم الفقه والحديث واللغة. ثم رجع الى العراق ونزل بالبصرة وأخذ من علمائها رحمهم الله واستفاد كثيرا من مدارسها وكتبها وقد ذكر حفيده: ﴿عبد الرحمن بن حسن﴾ رحمه الله أن جده ألف كتاب التوحيد بالبصرة، ولما رجع إلى بلاده مر بالأحساء فأخذ عن علمائه أيضا رحمهم الله. وكان فطنا فصيحا ناصحا حاد الذهن سريعا البديهة شجاعا لا يخاف في الله لومة لائم.

وبدأ نشاط دعوته الى توحيد الله تعالى ومحاربة مظاهر الشرك، التي كانت تنتشر بكثرة في بلاده، وظهر له اعداء ومناوئون بسبب دعوته الى التوحيد. وعلماء مخالفون له استمر في دعوته بلسانه وقلمه حتى انتقل والده واسرته، فانتقل معه وهناك تعرض للمضايقة والمحاصرة من قبل القبوريين والخرافيين وعلماء السوء. فأغروا به بعض فساقها واتفقوا على قتله والخلاص منه، ولكن الله سبحانه وتعالى انجاه من كيدهم. وتحول الى الدرعية ونزل عند بعض طلابه. وكان أميرها رجلا صالحا ذا دين اسمه: ﴿الأمير محمد بن سعود﴾ رحمه الله فقابله وعرض عليه دعوته فانشرح صدره لها. ووعده خيرا لنصرته وواصل الشيخ دعوته بمؤازاة أمير الدرعية وانتشرت دعوة التوحيد على يده واندثر الشرك وانهزم أهله.

وقد عاش الشيخ عمرا طويلا في الدعوة والتدريس والتعليم. وترك عديدا من المؤلفات منها المجلدات والرسائل وقد جمعت في مجموعة بعنوان **الدرر السنية في الاجوبة النجدية**.

وقد عاش يدعو الى الله وينصح ويوجه حتى وافته المنية في أواخر سنة ١٢٠٦ هـ. عن عمر ناهز واحد وتسعون سنة. ومن مؤلفاته المفيدة هذه الرسالة التي نقوم بشرحها.

4. من مزايا هذه الرسالة:

أنها جاءت مختصرة قليلة العبارات والجمل، غزيرة المعاني كثيرة الفوائد، كتبت بأسلوب سهل يسير مفهوم لا تعقيد فيه، قد خلا من الحشو والتكرار، وجاءت الفاظها جزلة وترتيب أبوابها متناسبة وتراكيب عبارتها قوية ومتناسقة.

كما امتازت هذه الرسالة بأن:

- مسائلها العقدية وأحكامها الشرعية ومقاصدها المرعية، وردت مرتبة مبوبة على أحسن الوجوه.
- قد قرنت بأدلتها الشرعية المناسبة المستفادة من الكتاب والسنة الصحيحة وأخبار السلف الصالح.
- فكانت ميسرة للحفظ والفهم والعمل. وفت بالأمر الموعود وأصابت الغرض المقصود.
- فقرت بها أعين الموحدين وسُرت بها قلوب المؤمنين المتقين واستبشر بها اتباع السلف الصالحين.
- ووفق للعمل بها. الائمة والدعاة المصلحون على مدى الازمان والسنين.

وقد صُدرت هذه الرسالة بثلاث مقدمات نافعة ومفيدة تتعلق ببيان أهمية ركائز الدين التي يبنى عليها وهي:

- **المقدمة الأولى:** وجوب العلم والعمل والدعوة اليه والصبر على الاذى فيه.
- **المقدمة الثانية:** تقرير توحيد الربوبية والألوهية وعقيدة الولاء والبراء.
- **المقدمة الثالثة:** بين توحيد وما يضاده من الشرك بجميع انواعه ووسائله.

ثم شرع في بيان غرضه بالحديث عن الأسئلة الثلاثة المقصودة والإجابة عليها وجعلها أصولا ثلاثة ينبغي على كل مسلم معرفتها:

- **الأصل الأول:** الإجابة على السؤال الأول وهو معرفة الرب جل وعلا وذكر أدلة هذا الباب وبراهينه ومَثّل ببعض العبادات القلبية التي يكثر فيها الخلط.
- **الأصل الثاني:** الإجابة على السؤال الثاني وهو معرفة دين الإسلام ومعرفته أركانه ومعرفة الايمان والإحسان.
- **الأصل الثالث:** الإجابة على السؤال الثالث وهو معرفة النبي صلى الله عليه وسلم وشيء من سيرته

5. توطئة بين يدي الرسالة:

اعلموا رحمني الله واياكم: أن العبد من يوم أن وطأت قدماه هذه الأرض وهو مسافر إلى ربه ﷻ، ومدة سفره عمره الذي قدره الله ﷻ له. وكتبه عليه.

قال الله ﷻ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الرعد: 38.

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فاطر: 11.

وقد جُعلت أيامه ولياليه مراحل لسفره، فلا يزال يطويها ويقطعها مرحلة مرحلة، حتى ينتهي به سفره الى مُلاقاة ربه ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ» الانشقاق: 08.

وقال جل وعلا: «مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ العنكبوت: 05.

وقد أحسن القائل[1] حين قال:

(نَسِيرُ إِلَى الْآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ❁❁❁ فَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ)

(وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّهُ ❁❁❁ إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْأَمَانِي بَاطِلُ)

(وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ❁❁❁ فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَامِلُ)

(تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ❁❁❁ فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ)

والعبد الكيس الفطن الموفق هو ذاك الذي يسعى جاهدا أن يقطع مراحل سفره كلها أو جلها سالما غانما، قد تزود من التقوى والعمل الصالح، حتى إذا انقشع ظلام ليل الدنيا وطلع صبح الآخرة يحمد سراه وينجلي كراه، وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا بسوق قام ثم انفض فكان أهلها منهم الرابح ومنهم الخاسر.

كما في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا

[1] القائل هو: عبد الله بن المعتز بالله وهو أحد خلفاء الدولة العباسية، وكنيته أبو العباس، ولد عام (247 هـ، 861م)، في بغداد، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولقب بالمرتضى بالله، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر بالله وقتلوه في عام (296 هـ،909م)

بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا. [1]

إن الحديث اشتمل على صنفين من تجار الدنيا:

- **أحدهما حَذَقَ تجارته**، وأحسن التصرف فيها فحافظ بذلك على رأس ماله وزاد عليه ربحا وفيرا.
- **وأما الاخر فقد أساء إدارة تجارته**، فأتلف رأس ماله بسبب سوء تدبيره.

والعلماء الفطناء يقررون أن أشرف ما تنفق فيه الاعمار وتصرف فيه الاوقات هو طلب العلم النافع المثمر للعمل الصالح، المستقى من الكتاب والسنة الصحيحة بفهم سلف الامة، ولا ريب أن ذلك يحقق للعبد سعادته في الدنيا ونجاته في الاخرة وفوزه بالنعيم المقيم.

والمعلوم أن طلب العلم يعد من اجل العبادات وازكى القربات وانفع الطاعات بعد الفرائض والواجبات. وهو أكثر خيرا ونفعا وأجرا من كثير من نوافل العبادات.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي عبيدة مسعود بن عبد الظاهر شابي

كما ثبت ذلك في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: فَضْلُ اَلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ اَلْعِبَادَةِ وَخَيْرُ دِينِكُمْ اَلْوَرَعُ [2]

لأن القليل من العبادة مع العلم خير من كثير من العبادة مع الجهل. فكانت زيادة العلم خير من زيادة العبادة.

قال سفيان الثوري رحمه الله (ت١٦١ هـ): ﴿مَا مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ اَلْعِلْمِ إِذَا صَحَّتْ اَلنِّيَّةُ﴾. [3]

وقال الشافعي رحمه الله (ت ٢٠٤ هـ): ﴿طَلَبُ اَلْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ اَلنَّافِلَةِ﴾. [4]

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير أبو عبد الله البصري رحمه الله (ت ٩٥هـ): ﴿حَظٌّ مِنْ عِلْمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَظِّ مِنْ عِبَادَةٍ. وَلَئِنْ أُعَافَى فَأَشْكُرُ أُحِبّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَاصْبِرْ. وَلَقَدْ نَظَرْتُ فِي اَلْخَيْرِ اَلَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ فَلَمْ أَرَ مِثْلَ اَلْمُعَافَاةِ وَالشُّكْرِ﴾. [5]

---

[1] صحيح مسلم | كِتَابٌ: الطَّهَارَةُ | بَابٌ: فَضْلُ الْوُضُوءِ رقم: ٢٢٣ والحديث ٢٣ من الأربعين النووية. سنسوق بإذن الله جل وعلا الأحاديث بتمامها ويتم التسطير على وجه الدلالة منها لتمام الفائدة ولحفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولمن قوية عزيمته وعظمت همته.

[2] رواه الامام الطبراني رحمه الله في الأوسط والبزار رحمه الله بإسناد حسن وصححه الشيخ الالباني رحمه الله. في صحيح الترغيب والترهيب برقم 68.

[3] ذكره ابن عبد البر رحمه الله في جامع بيان العلم:(25/1).

[4] المجموع النووي: (42/1).

[5] جامع بيان العلم لابن عبد البر رحمه الله: (64/1).

وقال الامام الزهري رحمه الله (ت ١٢٥هـ): ﴿مَا عُبْدَ اَللَّهُ بِمِثْلِ اَلْفِقْهِ﴾ .[1]

وقال ابن القاسم عبد الرحمن بن قاسم بن خالد العنقي أبو عبد الله المصري رحمه الله صاحب مالك رحمه الله (ت١٩١ هـ) قال: سمعت مالكا يقول:

﴿إِنَّ أَقْوَامًا اِبْتَغَوْا اَلْعِبَادَةَ وَأَضَاعُوا اَلْعِلْمَ فَخَرَجُوا عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسْيَافِهِمْ وَلَوْ اِبْتَغُوْا اَلْعِلْمَ لَحَجَزَهُمْ عَنْ ذَلِكَ.﴾ .[2]

وكان الامام احمد رحمه الله (ت ٢٦١هـ) يجُل أبا زُرعة الرازي رحمه الله (ت ٢٤٦هـ) فكان إذا زاره في بيته ترك الإمام أحمد نوافله من الصلاة وأقبل على المذاكرة معه في العلم ومسائله المختلفة.

ولقد رفع العلم أناسا كان ينظر إليهم على أنهم من الوضعاء والمتروكين.

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. المجادلة: 11

وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص رحمه الله عنقه داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زُجَّان،[3] فقالت له أمه رحمها الله: ﴿يَا بُنَيَّ، لَا تَكُونُ فِي قَوْمٍ إِلَّا كُنْتَ اَلْمَضْحُوكَ مِنْهُ اَلْمَسْخُورَ بِهِ، فَعَلَيْكَ بِطَلَبِ اَلْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُ يَرْفَعُكَ﴾ قال: فطلب العلم، فوُلِّي قضاءَ مكة عشرين سنة، قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه **يُرْعَد حتى يقوم**.

قال: ومرَّت به امرأةٌ يومًا وهو يقول: ﴿اَللَّهُمَّ أَعْتِقْ رَقَبَتِي مِنْ اَلنَّارِ﴾ ، فقالت له: يا ابنَ أخي، وأي رقبة لك؟!![4]

قال إبراهيم ابن إسحاق الحربي رحمه الله (ت٢٨٥هـ): «كان عطاء بن ابي رباح المكي مولاهم رحمه الله (ت١١٤هـ) عبدًا لامرأة من أهل مكة، وكان عطاء أسود أعور أفطس[5] أشل أعرج ثم عمي وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث، قال وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين هو وابناه. فجلسوا إليه وهو يصلي. فلما فرغ انتقل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج. وقد حول قفاه إليهم ثم قال سليمان لابنيه قوما. فلما قاما قال لهما: ﴿يَا بَنَيَّ لَا تَنِيَا فِي طَلَبِ اَلْعِلْمِ. فَإِنِّي لَا أَنْسَى أَبَدًا ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْ هَذَا اَلْعَبْدِ اَلْأَسْوَدِ﴾ .[6]

---

[1] المدخل الى السنن للبيهقي رحمه الله ص 467 والخطيب رحمه الله في الفقه والتفقه:(1998)

[2] ذكره ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة:(119/1).

[3] مثنى زج وهي الحديدة التي تجعل في أسفل الرمح أو زوجان أي فرخان من الحمام وذلك لبروز منكبيه رحمه الله

[4] رواه الخطيب البغدادي رحمه الله في "الفقيه والمتفقه" (141/1) رقم (120) ط/ دار ابن حزم.

[5] مَن انْخَفَضَتْ قَصَبةُ أَنْفه أو مَن كان أَنْفه قصيرًا مُسَطَّحًا مُنْبَسِطًا.

[6] رواه الخطيب البغدادي رحمه الله في "الفقيه والمتفقه" (31/1)

6. المقدمة الأولى من الرسالة:

قال المصنف رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم

افتتح المصنف رحمه الله رسالته بالبسملة:

اقتداءً بكتاب الله سبحانه وتعالى المبدوء بالبسملة، وهي آية من القرآن العظيم وقد ابتدأت بها كل سورة منه ما عدا سورة التوبة فقد خلت منها.

وأيضا اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يبدأ مراسلاته ومكاتباته الى الملوك والسلاطين بالبسملة.

كما جاء في رسالته الى هرقل ملك الروم. حملها اليه الصحابي الجليل دِحْيَةَ الْكَلْبِيّ رضي الله عنه كما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ ، وَ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1]

واقتداء وتأسيا بسلفه الصالحين من العلماء الربانيين فقد دأبوا على افتتاح مصنفاتهم وكتبهم بالبسملة، والحمدلة التماسا للنفع والبركة منهما خلافا لأهل البدع فانهم لا يبدؤون كتبهم بهما. ولكنهم يفتتحونها بالتحدث عن أنفسهم او عن غيرهم. لذلك تجد كثيرا من كتبهم خالية من البركة منزوعة منها أو أنها عديمة النفع قليلة الفائدة

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (ت ٣١٠ هـ): ﴿قد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتبهم بالبسملة وكذا الرسائل.﴾ [2].

أما ما ورد بشأن الأحاديث: كحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ – أَوْ قَالَ : أَقْطَعُ –) وقد روي الحديث بألفاظ أخرى نحو هذا. رواه الإمام أحمد رحمه الله في "المسند (14/329) " أو ما شابه ذلك فإن كل الروايات ضعيفة لا تصح كما أشار الى

1 صحيح البخاري رحمه الله كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ | بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ إِلَى الإِسْلاَمِ. برقم: (٢٩٤٠)

2 ذكره الحافظ رحمه الله في الفتح (١٤/١).

ذلك أهل علم مصطلح الحديث ومنهم الشيخ الألباني رحمه الله (ت ١٤٢٠هـ) في إرواء الغليل في الحديث رقم ٢.

بسم الله: الباء هنا للاستعانة وهو القول الصحيح وقد قيل إنها للمصاحبة وهو قول أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت٥٣٨هـ) [1] وذلك لنصر مذهبه الفاسد القائم على تقديم العقل على النقل.

باسم: جار ومجرور متعلقان بمحذوف قدر بفعل مؤخر مناسب للمقام تقديره: "بسم الله اكتب" أو: "بسم الله أصنف". وأُخر هذا الفعل المقدر لفائدتين.

أولا: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى لأنه كله بركة وخير.

ثانيا: افادة القصر والحصر. لان تأخير ما حقه التقديم يفيد الحصر والقصر. مثل قوله تعالى ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة ٥.

الله: اسم علم على الباري ﷻ وهو أشهر الأعلام على الإطلاق وجميع اسمائه الحسنى الاخرى كلها تابعة له. متضمنة فيه وهو أشهر الأعلام على الإطلاق، وهو خاص بالرب ﷻ ولا يسمي به غيره فإن فرعون عندما إدعى الربوبية على قومه لم يقل: "**أنا الله**" إنما قال الله ﷻ على لسانه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات ٢٤

ومعناه: المألوه والمعبود محبة وتذللا وخضوعا، وهو المقصود بالعبادة وحده دون ما سواه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَعْنَاهُ ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ﴾ [2].

الرحمن: اسم لله ﷻ مختص به لا يسمى به غيره. ومعناه: **ذو الرحمة الواسعة**. لأنه جاء على وزن «فعلان» وهي صيغة من صيغ المبالغة[3] تفيد السعة والامتلاء. فهو وصف لله ﷻ بالرحمة الواسعة.

قال الله ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ الإسراء ١١٠.

الرحيم: اسم يطلق على الله وعلى غيره. ومعناه: **ذو الرحمة الواصلة** الى من يشاء من عباده.

فالرحمن: اسم يتضمن للصفة القائمة به سبحانه تعالى.

---

[1] ينبغي الاحتراز من اعتزالياته أثناء قراءة كتبه.

[2] ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما

[3] هناك أوزان يستعملها المتكلم بهدف الدلالة على الفاعل الذي يقوم بالفعل بكثرة أو شدة، تعرف المبالغة على أنها أوزانٌ مخصوصةٌ موضوعةٌ لإفادةِ المبالغةِ في الوَصْفِ، ومعنى صيغة مبالغة أنها دالةٌ على الكثرة، وليس المعنى أنه مبالغٌ فيها دون إرادة الحقيقة مثل الرزاق؛ فإن الرزاق من أسماء الله ﷻ، وجاء بهذه الصيغة للدلالة على كثرة من يرزقه الله ﷻ. فانتبه، كلام الشيخ بن عثيمين رحمه الله

والرحيم: اسم يتضمن للصفة دالة على تعلقها بالمرحوم. قال الله جل وعلا: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾. الأحزاب 43.

قال المصنف رحمه الله: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" [سورة العصر كاملة].

قَالَ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) [محمد:19]. فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ).

اعْلَمْ: فعل أمر من العلم وهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع أي: كن متهيئا ومتفهما لما يلقى اليك من العلوم وهي كلمة يؤتى بها عند الأشياء المهمة التي يجب على المتعلم أن يصغي إليها فإن لم يطابق الواقع فهو الجهل وهو قسمان بسيط ومركب.

فالبسيط: **عدم المعرفة مطلقا**.

والمركب: **مركب من أمرين: من عدم موافقه الواقع وعدم علمه بأنه جاهل**.

رَحِمَكَ اللهُ: جملة خبرية لفظًا إنشائيةٌ معنى تفيد الدعاء من المصنف رحمه الله للقارئ والسامع والمخاطب وكذا طالب العلم يدعو له بالرحمة، ليتمكن من تحصيل مطلوبه وينجو من محذوره وليغفر الله سبحانه وتعالى له ذنوبه المتقدمة ويوفقه ويعصمه من الوقوع في غيرها مستقبلا، وهذا الدعاء فيه تنبيه على أن مبنى هذا العلم قائم على الرحمة والتلطف والرفق والشفقة وقصد الخير للمتعلم، وذلك سبب في رفع همته وشحذ عزيمته وتقوية رغبته في الإقبال على طلب العلم النافع والإشتغال به، وهذا ديدنه في جميع مصنفاته ومؤلفاته فهكذا هم أهل السنة والجماعة أعلم الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق.

أنّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ: أي يتحتم علينا ويلزمنا وقد يكون هذا الوجوب عينيًا أو كفائيًا. لكن بعض العلماء ذهب إلى أن الوجوب المقصود هنا الوجوب العيني الذي يجب على كل مكلف من الانس والجن القيام به لأنه يتعلق بأهم أصول دينه ومصيره بعد موته.

تَعَلُّمُ: أي تحصيل العلم النافع بوسائله المعلومة من: تلق وحفظ ومدارسة ومذاكرة وتدوين.

- **والعلم:** هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع ادراكًا جازمًا دون شك أو ريب.
- **والعلم:** هو معرفة الهدى بدليله الموصل إليه.
- **والعلم:** المقصود هنا هو: العلم الشرعي الذي تضمنه الوحي من كتاب وسنة صحيحة.

قال شيخ الاسلام ابن القيم[1] رحمه الله:

العلمُ قالَ اللهُ قالَ رسولُهُ ❁❁❁قال الصَّحابةُ لمن بالتَّمويهِ

ما العلمُ نَصْبَك للخلافِ سفاهةً ❁❁❁بين الرَّسولِ وبين رأيِ فقيهِ

كلاَّ ولاجَحْدَ الصِّفاتِ ونَفْيُها ❁❁❁حذرًا من التَّمثيلِ والتَّشبيهِ

- **ودليل وجوب طلب هذا العلم الشرعي:** الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه ابن ماجة وأبو يعلى والطبراني وصححه الشيخ الالباني رحمهم الله.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ .[2]

أَرْبَعَ مَسَائِلَ: هذه المسائل من مهمات العلم المطلوب معرفتها وتعلمها وهي:

الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ: هذه المسألة الأولى التي هي العلم. مما يجب علينا تعلمها وجوبا عينيا. والعلم إذا أطلق في نصوص الشرع وجرى على لسان السلف الصالح فإنه يقصد به العلم الشرعي وهو قسمان:

- **علم ضروري:** وهو الذي لا يحتاج إلى استدلال ونظر وتأمل. بل يُدرك ضرورةً. مثلُ العلمُ أن النارَ محرقةٌ.

---

[1] أَبُو عَبْدِ اللهِ شَمْسُ الدِينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنُ سَعْدِ بْنُ حَرِيْزٍ الزُّرْعِيُّ الدِمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (691هـ – 751هـ/1292م – 1350م) المعروف باسم «ابْنِ قَيِم الجَوْزِيَّة» أو «ابْنِ القَيِم». هُوَ فقيه ومحدّث ومفسّر وعالم مسلم مجتهد، وهو أحد تلاميذ شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وإحدى حسناته تربى على يديه وتلقى العلم الشرعي عنه ولازمه سبعة عشر سنة.

[2] صحيح الجامع برقم :(4914) أما زيادة لفظ: "مسلمة" في آخرها فإنها لم تثبت.

و علم نظري: يتطلب الاستدلال والنظر والتساؤل والبحث مثلُ وجوبُ النيةِ في الوضوءِ. فإنه يحتاج الى البحث في الدليل الموجب للنية كيما يصح الوضوء.

وقد فسر الشيخ رحمه الله العلم المراد في كلامه فقال: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

- قال ابن القيم رحمه الله في هذا العلم: ﴿هُوَ تَرِكَةُ اَلْأَنْبِيَاءِ وَتُرَاثِهِمْ. وَأَهْلُهُ عُصْبَتَهُمْ وُورَاثُهَمْ، وَهُوَ حَيَاةُ اَلْقُلُوبِ، وَنُورُ اَلْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ اَلصُّدُورِ، وَرِيَاضُ اَلْعُقُولِ، وَلَذَّةُ اَلْأَرْوَاحِ، وَأُنسُ اَلْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ اَلْمُتَحَيِّرِينَ، وَهُوَ اَلْمِيزَانُ اَلَّذِي بِهِ تُوزَنُ اَلْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ، وَهُوَ اَلْحَاكِمُ اَلْمَفْرِقُ بَيْنَ اَلشَّكِّ وَالْيَقِينِ ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، بِهِ يُعْرَفُ اَللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذْكَرُ وَيُوَحَّدُ ، وَيُمَدَ وَيُمَجَّدُ، وَبِهِ اِهْتَدَى إِلَيْهِ اَلسَّالِكُونَ، وَمِنْ طَرِيقِه وَصَلَ إِلَيْهِ اَلْوَاصِلُونَ . وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ اَلْقَاصِدُونَ﴾. [1]

- قال الحافظ بن حجر العسقلاني[2] رحمه الله: ﴿وَالْمُرَادَ بِالْعِلْمِ: اَلْعِلْمُ اَلشَّرْعِيُّ اَلَّذِي يُفِيدُ مَا يَجِبُ عَلَى اَلْمُكَلَّفِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، وَالْعِلْمُ بِاَللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ اَلْقِيَامِ بِأَمْرِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ اَلنَّقَائِصِ وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى اَلتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ﴾. [3]

- قال ابن القيم رحمه الله: ﴿وَلَا عُبِدَ اَللَّهُ وَحْدَهُ وَحُمِدَ وَأُثْنِيَ عَلَيْهِ وَمُجِدَ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا عُرِفَ فَضْلُ اَلْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ﴾. [4]

- ولا تحصيل لمرضاة الرب وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ونيل نعيم الجنة إلا بالعلم الشرعي، وبغيابه تزول النعم وتحل النقم، ويطول الغم والهم. فتقطع الرحم وتضيع القيم، ومثل هذا العلم المبين في المسألة الاولى لا ينفع فيه التقليد.

فالواجب تحصيله بالدليل وقد اشتهر بين العلماء قولهم: ﴿لا ينفع التقليد في العقائد﴾. [5]

---

[1] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين :(439/2)

[2] شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي (شعبان 773 هـ/1371م – ذو الحجة 852 هـ/1449م)، مُحدِّث وعالم مسلم، شافعي المذهب، لُقب بعدة ألقاب منها شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث

[3] فتح الباري بشرح صحيح البخاري:(141/1)

[4] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: (314/1)

[5] اشتهرت هذه المقالة عن الأشعري: أن إيمان المقلد لا يصح وقد أنكر أبو القاسم رحمه الله ذلك بقوله: ﴿وقد اشتهرت هذه المقالة عن الأشعري: أن إيمان المقلد لا يصح، وقد أنكر أبو القاسم القشيري، والشيخ أبو محمد الجويني، وغيرهما من المحققين صحته عنه، وقيل: لعله أراد به قبول قول الغير بغير حجة، فإن التقليد بهذا المعنى قد يكون ظنا، وقد يكون وهما، فهذا لا يكفي في الإيمان، أما التقليد بمعنى الاعتقاد الجازم لا الموجب، فلم يقل أحد أنه لا يكفي في الإيمان، إلا أبو هاشم من المعتزلة.﴾

نقل ابن تيمية عن الامام أحمد رحمهما الله قال:

﴿لَا يَجُوزُ اَلتَّقْلِيدُ فِيمَا يُطْلَبُ فِيهِ اَلْجَزْمُ وَلَا يَثْبُتُ إلَّا بِدَلِيلٍ قَطْعِيٍّ وَيَجُوزُ اَلتَّقْلِيدُ فِيمَا يُطْلَبُ فِيهِ اَلظَّنُّ وَإِثْبَاتُهُ بِدَلِيلٍ ظَنِّيٍّ﴾ [1].

قال الامام السفراني[2] رحمه الله:

﴿قَالَ عُلَمَاؤُنَا وَغَيْرُهُمْ يُحْرَمُ اَلتَّقْلِيدُ فِي مَعْرِفَةِ اَللَّهِ وَفِي اَلتَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ وَكَذَا فِي أَرْكَانِ اَلْإِسْلَامِ اَلْخَمْسَةِ وَنَحْوِهَا بِمَا تَوَاتَرَ وَاشْتُهِرَ عِنْدَ اَلْإِمَامْ أَحْمَدْ وَالْأَكْثَرِ﴾ [3] وذكره أبو الخطاب[4] رحمه الله عن عامة العلماء وذكره غيره أنه قول الجمهور.

وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ سبحانه وتعالى: وتكون المعرفة المحققة بالقلب وتستلزم:

1. قبول شرعه سبحانه وتعالى المتضمن في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاذعان له دون تردد أو معارضة أو معاندة
2. والانقياد له سبحانه وتعالى ولأحكامه القدرية والشرعية.
3. وتحكيم شرعه سبحانه وتعالى في جميع مناحي الحياة قليلها وكثيرها.
4. وعدم الاعراض عن أوامره ونواهيه أو تركها أو إهمالها أو العمل بغيرها، وكذلك يكون الحال مع ما صح من النبي صلى الله عليه وسلم من الأخبار المتضمنة الأوامر والنواهي واشتملت على الأحكام والآداب والأخلاق.

وهذه هي المعرفة الشرعية الحقة النافعة وتتحقق بالنظر في آيات الله المسطورة والتدبر في آيات الله المنظورة.

ونعني بالنظر في آيات الله المتلوة: فهمها والعمل بما تتضمنه من أوامر ونواهٍ وأحكام وآداب.

وكذلك النظر في الآيات الكونية: بالتأمل في قدرة الله العظيمة، وبديع صنعه وحسن خلقه وكمال تدبيره والقيام على شؤون خلقه وكونه، وتقديره حق قدره وتعظيمه حق التعظيم.

---

[1] انظر المسودة في أصول الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية (408)

[2] أبو حامد الإسفرايني أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرايني الفقيه الشافعي، فقيه، الملقب بركن الدين شيخ العراقيين في المذهب الشافعي المتكلم الأصولي (ت 418 هـ)

[3] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: 267/1

[4] أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن بن حسن العراقي الكلوذاني البغدادي الأزجي الحنبلي (432 هـ – 510 هـ / 1041 – 1116م) شيخ الحنابلة في عصره، وتلميذ القاضي أبو يعلى بن الفراء.

قال الله ﷻ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ الذاريات:(20–22).

وقول الله ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ . سبأ: 09.

وقول الله ﷻ: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ النحل:(11–12).

ومَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أي النبي محمد ﷺ. وهذه المعرفة تستلزم: قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق والعمل به.

وتتحقق هذه المعرفة بأربعة أمور:

1. طاعته فيما أمر.
2. وتصديقه فيما أخبر.
3. واجتناب ما نهى عنه وزجر.
4. وأن يعبد الله بما شرع

وتثمر هذه المعرفة الصادقة المبنية على علم ورؤية وبصيرة ما يلي:

1. التأسي به ﷺ في كل ما جاء به
2. والاقتداء به ﷺ في أقواله وأعماله وأحواله.
3. والرضا بما حكم ﷺ دون تردد أو شعور بحرج في ذلك.
4. وعدم تقديم قول وعمل غيره على قوله وحكمه ﷺ.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ . سبأ: 65

الموقع الرسمي للشيخ: أبي عبيدة عمر بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

وقال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: 63.

وقوله الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ النور: 51.

وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ: الاسلام له اطلاقان. إطلاق عام وإطلاق خاص ولكل منهما معنى

الإسلام بالمعنى العام: معناه عبادة الله وحده وعدم الاشراك به وهو دين جميع الرسل وقد أمروا بتبليغ ذلك. فكل من آمن بالرسول الذي أرسل إليه وصدقه واتبعه فهو مسلم عابد لله موحد له.

قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. البقرة: 128.غ

وقول الله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ آل عمران: 83.

وقول الله ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يونس: 72.

وقول الله ﷻ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يوسف: 101.

أما المعنى الخاص للإسلام: وهو ما جاء به النبي ﷺ وختم به الرسالات والشرائع السابقة وقد تضمن العقائد والعبادات والأحكام والمعاملات على أكمل الوجوه وأتمها وهو الدين المعتبر المعيار عند الله ﷻ وأكثر أهل الكتاب اختلفوا فيه وانحرفوا عنه بعد علمهم بحقيقته استجابة لأهوائهم ورغباتهم.

كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ آل عمران: 19.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. آل عمران: 85.

وهو الذي لا يقبل الله تعالى دينا غيره: وكل دين بغير هذا المفهوم يأتي به صاحبه يوم الجزاء يرد عليه ولا يقبل منه.

كما قال الله ﷻ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ المائدة: 03.

بالأَدِلّة: جمع دليل، والباء للمصاحبة والمعنى أن تكون معرفة العبد للإسلام مصحوبة بالأدلة الشرعية الصحيحة المستقاة من الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة.

الدليل: وهو ما يرشد الى المطلوب وهو على وزن فَعِيلٌ بمعنى فَاعِلٌ، أي: دَالٌ من الدلالة والبيان والهداية والمتضمن نصا من كتاب أو سنة وإجماع أو قياس صحيح أو قول وفعل صحابي ما لم يخالف وقد يكون الدليل:

- **سمعيا نقليا:** من كتاب أو سنة صحيحة.
- **عقليا نظريا:** يثبت بالنظر والتأمل والبحث.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي

وفي ذلك اشارة الى عدم نفع التقليد في مثل هذه المسائل الاعتقادية. ومعرفة هذه الأمور الثلاثة في المسألة الأولى يعد جوهر هذه الرسالة ومضمُونها المقصودُ ايضاحه وبيانه.

ثانيا العمل به: أي العمل بما يترتب على هذه المعرفة من اعتقاد صحيح وعبادة سوية وامتثال لأوامره واجتناب لنواهيه في الأحكام الشرعية وملازمة لطاعته ﷻ في كل الأحوال والأوقات والهيئات.

- **والحق الذي لا مرية فيه:** أن العمل لا يكون إلا ثمرة للعلم إن تخلف عنه عُدِمَ النفع منه وجَرَّ الضرر إلى صاحبه.
- **والمعلوم أن العلم يطلب العمل:** فإن أجابه والا أرتحل وهو وسيلة مجدية في تحقيق ثباته ورسوخه، فإذا لم يرافقه كان العلم حجة على صاحبه، بتحمل تبعاته يوم القيامة يوم الحسرة والندامة

كما جاء في الحديث الصحيح: الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ –أَوْ تَمْلأُ– ما بيْنَ السَّمواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها. [1].

وقال بعض السلف رحمهم الله: ﴿نَسْتَعِينُ عَلَى حِفْظِ اَلْحَدِيثِ بِالْعَمَلِ بِهِ﴾ [2].

قال أيوب السختياني[3] رحمه الله: قال لي أبو قلابة[4]: رحمه الله: ﴿يَا أَيُّوبُ . . . إِذَا أَحْدَثَ اَللَّهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ﴾[5] .

والذي يكون همه الاستزادة من العلم دون العمل، مثلُ رجلٍ احتطب حطبا فحزم حزمة فذهب يحملها فعجز عنها، فضم إليها أخرى، وذلك سبيل من يتعلم العلم يقصد من وراء ذلك تحقيق المتعة النفسية والترف العقلي وزيادة الحجج عليه يوم لا يقبل الله عز وجل عُذرًا ولا حجة ولا مراجعة ولا استعتابًا.

وكان الفضيل بن عياض[6] رحمه الله يقول: ﴿لَا يَزَالُ اَلْعَالِمُ جَاهِلاً بِمَا عَلِمَ حَتَّى يَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ كَانَ عَالِمًا﴾ [7].

وجاء عنه رحمه الله: ﴿إِنَّ اَلرَّجُلَ لَيَتَعَلَّمُ اَلْبَابَ مِنْ اَلْعِلْمِ فَيَعْمَلُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ اَلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا﴾ [8]

وقال الإمام الثوري[9] رحمه الله: ﴿اَلْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا اِرْتَحَلَ﴾ [10].

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم[11] رحمه الله: قال الله جل جلاله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60]، فما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ فقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ﴿مِنْ أَجْلِ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: عَرَفْتُمْ اَللَّهَ وَلَمْ تُؤَدُّوا

---

[1] الراوي: أبو مالك الحارث بن عصام الأشعري ﷺ | المحدث: مسلم ﷺ | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 223.

[2] رواه ابن عبد البر ﷺ في جامع بيان العلم: ص (27). والقائل هو الإمام الشَّعْبِيُّ ﷺ

[3] أبوبكر أيوب السختياني العنزي البصري (66 – 131 هـ / 685 – 748 م) سيد من سادات التابعين ثقة، وفقيه.

[4] أبو قِلَابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري، تابعي، وراوي لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثقة، وفقيه، توفي سنة 104 هـ

[5] أخرجه أبو نعيم في الحلية (282/2).

[6] الفضيل بن عياض ﷺ بن مسعود بن بشر أبو على التميمي اليربوعي الخراساني. ولد في سمرقند سنة 107 هـ ونشأ بأبيورد، لقب بـ «عابد الحرمين» (ت 187 هـ).

[7] رواه الخطيب البغدادي ﷺ في كتابه اقتضاء العلم العمل: ص (37)

[8] ذكره ابن عبد البر ﷺفي كتابه جامع العلوم والحكم ص (78)

[9] أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ﷺ (97 هـ – 161 هـ / 715م – 778م) فقيه كوفي، وأحد أعلام الزهد عند المسلمين، وإمام من أئمة الحديث النبوي، وواحد من تابعي التابعين.

[10] ذكره ابن عبد البر ﷺفي كتابه جامع بيان العلم وفضله: ص (269) وفي معناه ـ أيضًا ـ ما وَرَد عن عليٍّ رضي الله عنه مُختصرًا: «هَتَفَ العِلْمُ بالعَمَل، فَإنْ أَجَابَهُ وَإلَّا ارْتَحَلَ». من موقع الشيخ فركوس حفظه الله تعالى.

[11] أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي توفي سنة 162 هـ.

حَقَّهُ، وَقَرَأْتُمُ اَلْقُرْآنَ وَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ، وَقُلْتُمْ: نُحِبُّ رَسُولَ اَللَّهِ وَتَرَكْتُمْ سَنَتَهُ، وَقُلْتُمْ: نَلْعَنُ إِبْلِيسَ وَأَطَعْتُمُوهُ، وَالْخَامِسَةُ: وَتَرَكْتُمْ عُيُوبَكُمْ وَأَخَذْتُمْ فِي عُيُوبِ اَلنَّاسِ﴾ .[1]

❁ **وقد كانوا يخشون هذه المسألة**: يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: ﴿مَنْ يَزْدَدْ عِلْمًا يَزْدَدْ وَجَعًا﴾.[2]

❁ وكان يقول رضي الله عنه: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِي يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ: أَعَلِمْتَ أَمْ جَهِلْتَ؟ فَأَقُولُ: عَلِمْتُ، فَلَا تَبْقَى أَيَّةُ آمْرَةٌ أَوْ زَاجِرَةٌ إِلَّا جَاءَتْنِي تَسْأَلُنِي فَرْضِيَّتَهَا، فَتَقُولُ اَلْآمِرَةُ: هَلِ اِئْتَمَرْتَ؟ وَتَقُولُ اَلزَّاجِرَةُ هَلِ اُزْدُجِرْتَ؟﴾[3]

❁ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ :سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ: كَانَ أَبُوكَ يَتَمَثَّلُ مِنَ الشِّعْرِ شَيْئًا؟، قَالَ :كَانَ يَتَمَثَّلُ :

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا ❁❁❁ وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا ❁❁❁ فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ[4]

وقال آخر وقد صدق فيما قال:

يا مَن بِدُنياهُ اِشتَغَل ❁❁❁ وَغَرَّهُ طولُ الأَمَل

المَوتُ يَأتي بَغتَةً ❁❁❁ والقبرُ صندوقُ العَمَل[5]

ثالثا (الدعوة إليه): أي الدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ إلى شريعته، كما أمر الله ﷻ وبين في كتابه الكريم ملتزما نهج الأنبياء والرسل واتباعهم في دعوتهم إلى الله ﷻ:

قال الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: 125، ولابد لمن يدعو إلى الله ﷻ أن يحوز علما صحيحا مبنيا على أدلة الكتاب والسنة الصحيحة. وبفهم سلف الأمة الصالحين المتقدمين، ولابد أن يكون ذلك على بصيرة وهو قدر زائد على العلم. وهذه البصيرة تكون بحال المدعو وطريقة الدعوة.

[1] موارد الظمآن لدروس الزمان؛ عبد العزيز السلمان ﷾ ج6 ص (614).

[2] جامع بيان العلم وفضله ج1 ص (135).

[3] جامع بيان العلم وفضله ج2 ص (3).

[4] كتاب كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا﵀ ص 30 رقم الحديث 37

[5] أقول: وهذا باب مهم جدا لمن فهمه، فانتبه يا طالب العلم فعلم قليل مع العمل به خير من علم كثير ولا عمل فاجتهد وليكن شعارك عَلِمْتَ فَاعْمَلْ

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف ١٠٨.

وقد تكون الدعوة الى الله:

- **واجبة**: في حق من توجهت إليه وتعينت عليه من العلماء الأثبات الثقات.
- **وقد تكون مستحبة**: بحسب البيئة التي يعيش فيها المسلم الموحد الداعي الى الله ﷻ.

والظروف التي يحياها ونوع المدعوين الذين تتوجه إليهم الدعوة، بتعدد مراحلها واختلاف وسائلها وتنوع طرقها.

وفي الحديث قال النبي الكريم ﷺ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً[1]، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[2]

وقال ﷺ :(فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ)[3] .

والدعوة الى الله ﷻ وظيفة الرسل ومقام الأنبياء عليهم السلام ثم أتباعهم من بعدهم تبع لهم وأعلى مراتب هذه الدعوة دعوة الناس إلى توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة وعدم الإشراك به. وأجر الداعي إلى الله ﷻ عظيم وثوابه جزيل.

كما جاء في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: " عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ " [4].

وقول الداعي إلى الله ﷻ أحسن الأقوال وأنفعها وأعلاها درجة وأسماها مرتبة كما أشار الى ذلك القرآن العظيم

في قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت٣٣

---

[1] سُقت الحديث بكامله للفائدة وللاعتناء بأحاديث النبي ﷺ وحفظها وشاهده على الكلام ما وضع تحته خط وهذا ما سيجري عليه العمل في جميع الرسالة.

[2] رواه البخاري ﷺ برقم: 4/3461

[3] رواه البخاري ﷺ في كتاب العلم برقم: 01/67

[4] رواه البخاري ﷺ في كتاب الجهاد والسير برقم: 4/2942

وروى عن قتادة رحمه الله أنه قرأ هذه الآية ثم قال: ﴿ هَذَا عَبْدُ صَدَّقَ قَوْلَهُ عَمَلَهُ، وَمُولِجَهُ مَخْرَجَهُ، وَسِرَّهُ عَلَانِيَتَهُ ، وَشَاهِدَهُ مَغِيبَهُ ، وَإِنَّ اَلْمُنَافِقَ عَبْدٌ خَالَفَ قَوْلُهُ عَمَلُهُ ، وَمُولِجُهُ مُخْرِجُهُ ، وَسِرُّهُ عَلَانِيَتُهُ ، وَشَاهِدُهُ مَغِيبُهُ[1]﴾ .

وأجر الداعي الى الله سبحانه وتعالى متواصل متتابع لا ينقطع بموته بل يصله من الأجر ممن تبعه وعمل بما أرشده إليه من هدى وخير لا ينقص من أجر العامل شيء.

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: مَن دعا إلى هُدًى كان له من الأجرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ لم يَنْتَقِصْ من أجورِهم شيئًا ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لا يَنْقُصُ من آثامِهم شيئًا[2]

وعند مسلم رحمه الله في روايته: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي[3] فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: " مَا عِنْدِي ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿ مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ ﴾.[4]

قد تكون الدعوة بالقال وقد تكون بالحال والثانية أبلغ وأنفع وأرجى لاستجابة المدعو حيث تلتمس القدوة وتطلب الأسوة، وللدعوة الى الله تعالى وسائل شتى ومجالات متعددة وضابطها: أن تكون على هدى السلف الصالح بعيدا عن الابتداع ووفق قاعدة: الوسائل لها حكم المقاصد.[5] فكل وسيلة دعوية تنافي نصا شرعيا أو تخالف مبدأ عاما من مبادئ الاسلام فاستعمالها محرم لا يجوز ولا عبرة بقول القائل نحن في زمن تطورت فيه الاشياء والوسائل وتغير الناس ولابد من دعوتهم بما يناسب عصرهم ويوافق ميولاتهم على حد ما جاء في **القاعدة الميكافيلية الباطلة** لصاحبها الفيلسوف الايطالي **نيكولو مياكافيلي** وهي **الغاية تبرر الوسيلة**

أما عندنا نحن معشر أهل الاسلام القاعدة تقول: **الوسيلة لها حكم الغاية.**

ويلزم الداعي الى الله جل وعلا:

---

[1] تفسير الامام الطبري رحمه الله ص:480

[2] رواه الامام مسلم رحمه الله برقم :2674

[3] أُبْدِعَ بِي: أي انقطع بي السبيل لهلاك دابتي أو ضعفها.

[4] كتاب الامارة رقم: 6/1893

[5] أنَّ الوسائل لها أحكامُ المَقاصِد؛ فـ «مَا لَا يَتِمُّ الوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ»، و «مَا لَا يَتِمُّ المَسْنُونُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ مَسْنُونٌ»، ووسيلةُ الواجبِ قد تكون مأمورًا بها شرعًا: كالسعي للجمعة والطهارة للصلاة، وقد تكون مُباحةً لم يَرِدْ فيها أمرٌ مُسْتَقِلٌّ مِنَ الشرع: كإفراز المالِ لإخراج الزكاة؛ فالأولى اجتمع فيها دليلان: النصُّ وقاعدةُ: «مَا لَا يَتِمُّ الوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ»، والأخرى ثَبَتَتْ بالقاعدة وانقلب المُباحُ فيها واجبًا، والمُباحُ قد يَصيرُ مندوبًا أو مكروهًا أو حرامًا بحَسَبِ تَعَلُّقِه بغيره، وقد يبقى المُباحُ على حالِه الأصليِّ إذا لم يكن وسيلةً إلى أمرٍ آخَرَ. من موقع الشيخ فركوس حفظه الله تعالى.

أن يتحلى بجملة من الصفات الحميدة: على رأسها الإخلاص في دعوته لله تعالى والصدق في القول والعلم والعمل ويتبع أحدهما بالآخر أعنى العلم والعمل فيوافق ظاهره باطنه ومظهره مخبره ثم يجتهد في دعوته إلى الله جل وعلا دون كلل ولا ملل ولا ييأس، وأن يبدأ بالأهم فالمهم، وحب الخير للناس والرفق بهم واتساع الصدر لما يتعرض له من مخالفاتهم والحلم على جاهلهم والتواضع لهم وعدم اليأس منهم وغيرها كثير لمن فهم ووعى وعمل جاهدا وصبر.

ويجتنب الصفات الذميمة القادحة في دعوته: كحب الظهور القاسم للظهور والرياء وحب المحمدة وحب الزعامة وطلب السمعة والشهرة والتكلم بلا علم والتفيقه في الدين والتصدر للتعليم والتدريس والفتوى والعجب والغرور وغيرها من الآفات الضارة به وبدعوته.

وقد أحسن القائل حين قال:

تَصْدَرَ لِلتَّدْرِيسِ كُلُّ مَهُوسٍ ❁❁❁بَلِيدٍ تَسَمَّى بِالْفَقِيهِ الْمُدَرِّسِ

فَحُقَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا ❁❁❁بِبَيْتٍ قَدِيمٍ شَاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ

لَقَدْ هَزُلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا ❁❁❁كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

الرابعة الصبر على الأذى فيه:

الصبر لغة: الحبس والمنع.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ الكهف ٢٨.

يقال صَبَرَ يُصبِرُ نفسه على الشيء أي يَحْبِسُها عليه قال عنترة بن شداد[1] :

فَصَبَرْتُ عارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً ❁❁❁تَرسو إِذا نَفسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ

والصبر: هُوَ ثَبَاتُ الْقَلْبِ عِنْدَ مَوَارِدِ الِاضْطِرَابِ [2]، والدين كله يحتاج الى صبر ومصابرة، عند فعل المأمور وترك المحظور والانقياد لأحكام الشرع تنفيذا من غير ضيق ولا حرج.

[1] هو ابن شداد العبسي فارس من فرسان الجاهلية وهو أحد أصحاب المعلقات مات: (615م)

[2] ذكره ابن القيم ﷺ في كتابه عدة الصابرين ص: (40)

والصبر في الشرع: هو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب. وكل ذلك من دعوى الجاهلية.

وقد جاء عن ابن القيم رحمه الله في كتابه عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين قوله: ﴿حَقِيقَةُ اَلصَّبْرِ هُوَ خُلُقٌ فَاضِلٌ مِنْ أَخْلَاقِ اَلنَّفْسِ، يَمْتَنِعَ بِهِ مِنْ فِعْلِ مَا لَا يُحَسِّنُ وَلَا يُجَمِّلُ، وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى اَلنَّفْسِ اَلَّتِي بِهَا صَلَاحُ شَأْنِهَا وَقَوَامُ أَمْرِهَا، وَسُئِلَ عَنْهُ اَلْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ فَقَالَ: تَجَرُّعُ اَلْمَرَّارِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُّسٍ﴾ [1]

فكل من دعا إلى الله تبارك وتعالى بصدق وتجرد وإخلاص فإنه سيؤذى بشتى أنواع الأذى ومن ثمَّ فإنه سيحتاج الى الصبر لأن ذلك يعد ضريبة السير على طريق الرسل وأتباعهم وواجبه عندئذ أن يصبر ويتصبر على كل ما يلاقيه ويحتسب أجره وثوابه عند الله تبارك وتعالى وحده ، وتلك هي سنة الله تبارك وتعالى التي لا تتغير ولا تتبدل .

كما قال الله تبارك وتعالى مبينا طريق الرسل في تعاملهم مع أقوامهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إبراهيم ١٢.

ولأن الداعي إلى الله يطالب الناس من خلال دعوته بالتخلي عن كثير من شهواتهم ورغباتهم وعاداتهم السيئة ومعتقداتهم الباطلة وهم لا يحبون ذلك فيتوجهون إليه بالأذى القولي أو البدني أو بكلاهما، وقد تكون هذه الرغبات والعادات التي اعتادها هؤلاء المدعوون في أكثر الأحيان مخالفة لما جاء به الشرع ومناقضة له، وقد تعرض أكرم الخلق على الله وهم الأنبياء والمرسلون عليهم السلام إلى هذا الأذى بشتى صنوفه فما بالك، أنا وأنت فانتبه! يا رعاك الله.

والصبر ينقسم الى ثلاثة أقسام:

فإما أن يكون صبرا على الطاعة: والدليل على هذا النوع ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ لقمان ١٧، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على مشقة قيام الليل فيقوم قياما طويلا حتى تتفطر قدماه وقد لامته عائشة رضي الله عنها في ذلك فقال: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا).[2] والصبر على الطاعة يحتاج الى بذل جهد ومجاهدة ومصابرة وتجلد بلوغا للغاية وتحقيقا للمقصود.

---

[1] ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه عدة الصابرين ص: (40)

[2] متفق عليه

- أو يكون صبر عن المعصية: ودليلها قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾. الأحزاب ٢١ .

قال ابن كثير[1] رحمه الله في تفسيره للآية: أَيْ: عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ، فَقَطَعُوا أَنْفُوسَهُمْ عَنْ ذَلِكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ وَجَزِيلِ ثَوَابِهِ.[2] وهذا عده العلماء اشق أنواع الصبر على النفس لأن فيه ترك ما تشتهيه وردعها عما تبتغيه ومنعها مما ترتضيه ولذلك يتطلب جهدا زائدا لمنع النفس الأمارة بالسوء من ارتكاب الذنب ومقارفة المعصية وليجعل السني السلفي نصب عينيه أن الصبر عن محارم الله تعالى أيسر من الصبر على عذابه فليجاهد نفسه ويستعن بربه.

- أو يكون صبرا على أقدار الله المؤلمة أو المفرحة: ودليلها قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ البقرة الآية156.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».[3] ومعناه ان العبد مطلوب منه أن يصبر على ما نزل به من البلوى. بتقدير الله ﷻ وألا يسخط على ذلك ولا يعترض عليه، وأن يحسن الأدب مع ربه ﷻ، وألا يشكوه إلى خلقه. وليس له في هذه المواطن أوسع من الصبر،[4] وأما قبلها فالعافية أوسع له.

واسمع الى هذا الكلام النفيس من ابن القيم رحمه الله تعالى حين قال: والنفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو النار والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطيه فإن لم يكن للمطيه خطام ولا زمام شردت في كل مذهب[5].

---

[1] عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، الشافعي، ثم الدمشقي، مُحدّث ومفسر وفقيه، ولد سنة 701 هـ، توفي إسماعيل بن كثير يوم الخميس 26شعبان 774 هـ في دمشق عن ثلاث وسبعين سنة. رحمه الله رحمة واسعة

[2] تفسير ابن كثير رحمه الله:(م4/ص84) .

[3] سنن الترمذي رحمه الله | أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. | بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ برقم :4/2396

[4] ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه عدة الصابرين:" الصبر كما تقدم نوعان :اختياري واضطراري والاختياري أكمل من الاضطراري فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري ولذلك كان صبر يوسف الصديق عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من اخوته لما ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين أبيه وباعوه بيع العبد ومن الصبر الثاني ان شاء الله سبحانه له ما أنشأه من العز والرفعة والملك والتمكين في الأرض."

[5] ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه عدة الصابرين ص: (40)

ولذا فإننا نلتمس في حياة رسول الله الدعوية الأسوة الحسنة

كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾

الأحزاب ٢١ .

فقد أوذي كثيرا وصبر على ذلك وكان قد كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يومَ أُحُدٍ، وَشُجَّ في رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عنْه، ويقولُ: كيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وهو يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ؟! فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ آل عمران: 128[1] وفي رواية: كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وَجْهِهِ، ويقولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ. وفي روايةٍ: بهذا الإسْنَادِ غيرَ أنَّهُ قالَ: فَهو يَنْضِحُ الدَّمَ عن جَبِينِهِ[2]

فكان صلوات ربي عليه وسلم هو الحاكي والمحكي عنه وهو المعني بذلك، فاللهم أرزقه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وجازه عنا خير ما جازيت به نبيا عن أمته وصلى عليه وسلم تسليما كثيرا، وأمره ربه ﷻ أن يصبر كما صبر إخوانه الرسل عليهم السلام الذين من قبله:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الأنعام ٣٤.

قال الله ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الأحقاف ٣٤.

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ الطور ٤٨.

وقال الله ﷻ على لسان لقمان يوصي ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ لقمان ١٧.

فائدة: ومن هنا فإن الذي يريد أن يعلم هذه المسائل الأربع ويفقهها ويتمثلها ويعمل بها ويدعو غيره اليها ينبغي أن يصحبه صبر جميل خلال هذه المراحل كلها ليتسنى له الانتفاع المؤكد من هذه المسائل في دنياه

1 من أفراد مسلم ﷺعلى البخاري ﷺ برقم: 1791

2 الراوي: عبد الله بن مسعود ﷺ | المحدث: مسلم ﷺ | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 1792 |

وأخراه وليضع نصب عينيه قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ النحل ١٢٧

قال الناظم لهذه المسائل:

ولْتختِمُوا بالصَّبْرِ في كُلِّ أذَى ❁❁❁ ومَنْ أَبَى فَلْيَهنِهِ مرُّ القَذَى

وخُذْ دَلِيلَ مُبتَغَى في (العَصْرِ) ❁❁❁ ولِلهُ المختومةُ بالصَبْرِ

ثم ساق المصنف رحمه الله الدليل على ما سبق من تقريره فيما يتعلق بوجوب تعلم هذه المسائل المتقدمة فقال:

والدّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ (1) إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ (2) إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ (3)﴾ [سورة العصر كاملة].

وهذا دأب العلماء الربانين رحمهم الله لا يذكرون مسألة علمية الا جاءوا بالدليل عليها موضحين وجه الدلالة فيما أرادوا من أدلة وشواهد ومبينين عدم وجود ناسخ أو معارض، لكي تجد قبولا لدى المخاطب بها، وقد أصاب الشيخ رحمه الله وكان موفقا جدا في اختيار هذا الدليل لأن السورة قد تضمنت معنى المسائل الأربعة.

- فصدرت السورة بقسم الله بالعصر: وهو الدهر والزمن على أرجح الأقوال وهو محل الحوادث من خير وشر، ولله أن يُقسم بما شاء من خلقه وليس لنا نحن ألّا نقسم إلا به سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته. كما هو مقرر في باب إقرار التوحيد ونفي الشرك.
- ثم قررت السورة أن الإنسان: كل جنس الإنسان لان الألف والام لاستغراق الجنس في خسران وهلاك ونقصان إلا صنفا واحدا من الناس وهم الذين حققوا هذه الصفات الاربع وهي: الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر التي تضمنتها سورة العصر.

الذين ءامنوا: إيمانا قد بُني على علم نافع بأدلته الصحيحة وهو المشار إليه في المسألة الأولى معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ﷺ ومعرفة دينه الإسلام بالأدلة، وكما هو معلوم فالإيمان قول وعمل واعتقاد وهذا الاعتقاد هو العلم، فأهل العلم ناجون بإذن الله جل جلاله من الخسران المذكور في الآية المؤكدة في السورة.

وعملوا الصالحات: وهي ثمرة إيمانهم فكان عملهم خالصا صوابا، وعَطفُ العمل على الايمان من باب عطف الخاص على العام وذلك للتنبيه على أهميته وشرفه ومزيد الاهتمام به، وأن العمل من أصل الايمان لا ينفك عنه لذلك يقال إيمان بلا عمل صالح لا يعتد به ولا عبرة به على مذهب المحققين من أهل العلم الصادقين العاملين الأثبات. وهي المسألة الثانية.

وتواصوا بالحق: أن دعوا الى هذا الإيمان والعلم النافع وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على الخير والترغيب فيه، بمعنى دعا بعضهم بعضا على الحق والهدى بعد بيانه بدليله وهذه الدعوة لا تكون دعوة حقة الا إذا كانت مبنية على الدليل الصحيح الصريح الذي لا يجد المدعو بُدّاً من اتباعه وقبوله والعمل به وهذه هي المسألة الثالثة.

وتواصوا بالصبر: أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الطاعة والصبر على العمل والصبر على أقدار الله ﷻ وعلى أذى المخالف والمعادي والمناوئ، وعلموا أنه لا بد لمن يسلك هذه السبيل من بلاء وامتحان وايذاء يلقاه في طريقه أثناء دعوته الى الله ﷻ وزاده في ذلك كله الصبر والتحمل والاستعانة في ذلك كله بالله ﷻ وحده. وهي المسألة الرابعة.

اذن كل الناس في خسران محقق الا من آمن وصدق وعمل صالحا ودعا الناس إلى ذلك وصبر على أذاهم فيه.

قال ابن القيم رحمه الله: ﴿ فإنَّ السَّلفَ مُجمِعُونَ على أنَّ العالِمَ لا يستحِقُّ أن يُسمَّى ربَّانِيًّا حتَّى يعرِفَ الحقَّ ويعمَلَ به ويُعلِّمَهُ، فمن علِمَ وعمِلَ وعلَّمَ فذاك يُدعى عظِيمًا في مَلكُوتِ السَّمَاوَاتِ[1].﴾

ثم قال المصنف رحمه الله لبيان أهمية هذه السورة التي ساقها دليلا على ما أراد:

قَالَ الشَّافِعِيُّ[2] - رحمه الله -: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وجاءت رواية أخرى تقول: ﴿ لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم ﴾[3] والإمام الشافعي رحمه الله لا يريد أن السورة تكفي في معرفة الدين كله، بأصوله وفروعه وأحكامه وشرائعه وآدابه ولا يحتاج المسلم إلى غيرها أنما أراد أنها قد اشتملت على

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد: ٣ / ص٩

[2] أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المُطَّلِبِيّ القُرَشِيّ (150–204هـ / 767–820م) هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث، وقد عمل قاضياً فعُرف بالعدل والذكاء.

[3] تفسير ابن كثير رحمه الله:(م365/7).

أسباب الفلاح والسعادة، وكذا أسباب الهلاك والخسران، ففيها المبشرات والمنذرات لمن فقهها وعمل بما فيها هدته إلى صراط مستقيم وكان الى النجاة أقرب منه إلى الهلاك، فقد حوت الإيمان والعمل الصالح والدعوة الحقة والصبر وهذه أركانُ الدين وأُسُسُهُ، الذي قام عليها بنيانه المتين

❁ ولما ذكر شيخ الإسلام بن تيمية قول الإمام الشافعي رحمه الله قال: وهو كما قال إنّ الله تعالى أَخبر أنّ جميع الناس خاسرون إلّا من كان في نفسه مؤمنا صالحا، ومع غيره موصيا بالحق، موصيا بالصبر[1] ."

والخلاصة: أن من آمن بالله تعالى وصدق رسوله ﷺ واتبعه وعمل عملا صالحا ووصى غيره بالحق في دعوته الى الله ﷻ وصبر على أذية المدعو فإنه يسلم من المؤاخذة والعقوبة والمعاتبة، ويكون قد أبرأ ذمته مما أوكل اليه وطلب منه أن يؤديه وبذلك يكون قد نجح وأفلح في دنياه وفي آخرته بفضل ربه ومولاه ﷻ.

ثم قال الشيخ رحمه الله بعد ذلك: وَقَالَ الْبُخَارِيُّ[2] - رحمه الله -: بَابٌ[3]: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) [محمد:19]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)

والمراد أن قول الإنسان لا اعتبار له في ميزان الشرع إلا إذا صدر عن علم صحيح والمراد به العلم الشرعي المؤيد بالدليل الصحيح، فإن ذلك شرط لصحة القول والعمل معا فهو متقدم عليه، لأنه تصحيح للنية التي هي مصححة للعمل بعد ذلك ثم ساق الإمام البخاري رحمه الله دليلا على كلامه كعادة السلف رحمهم الله لا يقولون إلا بدليل شرعي قال:

والدليل قوله ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ محمد ١٩ وهذا دليل سمعي نقلي تمثل في نص من القرآن العظيم. ﴿**فبدأ بالعلم قبل القول والعمل**﴾ وهذا قول الامام البخاري رحمه الله وهو دليل أثري نظري. ومضمون الآية أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ بالعلم قبل أن يقول ويفعل والخطاب له أصالة ولأمته تبعا ولا بد أن يكون هذا العلم المأمور به مأخوذا

---

[1] مجموع الفتاوى :152/28

[2] أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ٱلْبُخَارِيّ رحمه الله (13 شوال 194 هـ – 1 شوال 256 هـ) / (20 يوليو 810 م – 1 سبتمبر 870 م) هو أحد كبار الحفّاظ الفقهاء من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل جبل الحفظ

[3] ذكره في كتاب العلم باب رقم (10)

من الكتاب والسنة الصحيحة المتضمنة للوحي المعصوم الذي يستنبط منه الاعتقاد الصحيح والعبادة السليمة والأحكام القويمة والأخلاق الحميدة.

وكان سفيان بن عيينة[1] رحمه الله يستدل على فضل العلم حين يسأل عن ذلك بهذه الآية فإذا قرأها قال: ألم تسمع الى قوله حين بدأ به فقال : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثم أمره بالعمل فقال : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[2].

قال ابن القيم رحمه الله: في منظومته الماتعة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

٤٢٥١ –وَالجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ ❁❁❁❁ أمْرَانِ فِي الْقُرْآنِ مُتَّفِقَانِ

٤٢٥٢ –فَضُّ القُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةٍ ❁❁❁❁ وَطَبِيبُ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِي

٤٢٥٣ –وَالعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ❁❁❁❁ مِنْ رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبْيَانِ

٤٢٥٤ –عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الإِلَهِ وَفِعْلِهِ ❁❁❁❁ وَكَذَاكَ الأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ

٤٢٥٥ –وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ ❁❁❁❁ وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي

٤٢٥٦ –وَالكُلُّ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ❁❁❁❁ جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ

٤٢٥٧ –وَاللهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مُتَحَذْلِقٌ ❁❁❁❁ بِسِوَاهُ مَا إِلَّا مِنَ الهَذَيَانِ

فالعلم إذا سبق القول والعمل سلم صاحبه من الزلل ونجا من الخلل وكان على نهج الصحابة الأول رضوان الباري عليهم أجمعين وكان في كلامه البركة ولو كان قليلا. وهذا فيه إشارة قوية إلى أن المسلم لا ينبغي أن يقول أو يعمل إلا بعلم ليطمئن في نفسه وتقوم بقوله حجته على غيره فلا يستطيع لها ردا، لذلك جاء الأمر بالعمل وهو الاستغفار بعد العلم. لينال هذا المستغفر أجره ويحصل على ثوابه نتيجة هذا العمل الصالح المبني على العلم النافع وذلك هو المطلوب من العبد المطيع لربه في جميع أحواله.

[1] سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو عمر الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه امام حجة الا أنه تغير حفظه بآخر حياته وكان ربما دلس لكنه من الثقات ومن رؤوس الحنفية الثمانية (107 هـ – 198 هـ / 725م – 814م)رحمه الله

[2] حلية الأولياء ج: 07 ص 286